

البداية والنهاية

استدعى بأخيه القاهر فأجلسه بين يديه واستدعاه إليه وقبل بين عينيه وقال يا أخي أنت لا ذنب لك وقد علمت أنك مكره مفهور والقاهر يقول انا نفسي يا أمير المؤمنين فقال وحق رسول الله (ص) لا جرى عليك مني سوء أبدا وعاد ابن مقله فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المقتدر إلى الخلافة وتراجعت الأمور إلى حالها الأول وحمل رأس نازوك وأبي الهيجاء ونودي عليهما هذا رأس من عصى مولاه وهرب أبو السرايا بن حمدان إلى الموصل وكان ابن نفيس من أشد الناس على المقتدر فلما دعا إلى الخلافة خرج من بغداد متنكرا فدخل الموصل ثم صار إلى إرمينية ثم لحق بالقسطنطينية فتنصر بها مع أهلها وأما مؤنس فإنه لم يكن في الباطن على المقتدر وإنما وافق جماعة الأمراء مكرها ولهذا لما كان المقتدر في داره لم ينله منه ضيم بل كان يطب قلبه ولو شاء لقتله لما طلب من داره فلهذا لما عاد المقتدر إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات بها عنده لثقت به وقرر أبا علي بن مقله على الوزارة وولى محمد بن يوسف قضاء القضاة وجعل محمد أخاه وهو القاهر عند والدته بصفة محبوس عندها فكانت تحسن إليه غاية الإحسان وتشترى له السراري وتكرمه غاية الأكرام .

ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم .

فيها خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج فما شعروا إلا بالقرمطي قد خرج عليهم في جماعته يوم التروية فانتهب أموالهم واستباح قتالهم فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في يوم التروية الذي هو من أشرف الأيام وهو يقول أنا الله وبالله أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا بل يقتلون وهم كذلك ويطوفون فيقتلون في الطواف وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف فلما قضى طوافه أخذته السيوف فلما وجب أنشد وهو كذلك ... ترى المحبين صرعى في ديارهم ... كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا ... فلما قضى القرمطي لعنه الله أمره وفعل ما فعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثيرا منهم في أماكنهم من الحرم وفي المسجد الحرام ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجة وذلك المدفن والمكان ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصل عليهم لأنهم محرمون شهداء في نفس الأمر وهدم قبة زمزم أمر بقلع الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها

